دراسات عربية وإسلامية

سلسلة أبحاث جامعية محكمة يشرف على إصدارها الدكتور حامد طاهر
بالتعاون مع مركز اللغات الأجنبية والترجمة بجامعة القاهرة

مركز اللغات الأجنبية والترجمة التخصصية

دراسات عربية وإسلامية

51

- النظرية النسبية لأينشتين — أ.د. محمود الشربيني
- القاعدة المعرفية للعملية الإبداعية : التعريف الجمالى — أ.د. عبد المنعم تليمة
- توثيق النص الشعرى المشرقى فى الأندلس — أ.د. أيمن ميدان
- النص الشعرى التراثى : القصيدة الرصافية لعلى بن الجهم — د. كامل الصاوى
- التعايش السلمى وتعدد الأديان والأعراق دراسة في فكر مهاتير محمد — د. هانى المسلم
- أهمية تفعيل دور المرأة فى مجال العلم — د. الحاج أحمد سوباكر
- التربية الأخلاقية ، وكيف نرسخها فى المجتمع — أ.د. حامد طاهر

دار الهانى للطباعة و النشر
٤٤٤٤٢٠٥٥ - القاهرة

سلسلة أبحاث جامعية محكمة يشرف على إصدارها الدكتور حامد طاهر
بالتعاون مع مركز اللغات الأجنبية والترجمة بجامعة القاهرة

دراسات عربية وإسلامية

51

- النظرية النسبية لأينشتين — أ.د. محمود الشربيني
- القاعدة المعرفية للعملية الإبداعية : التعريف الجمالى — أ.د. عبد المنعم تليمة
- توثيق النص الشعرى المشرقى فى الأندلس — أ.د. أيمن ميدان
- النص الشعرى التراثى : القصيدة الرصافية لعلى بن الجهم — د. كامل الصاوى
- التعايش السلمى وتعدد الأديان والأعراق دراسة في فكر مهاتير محمد — د. هانى المسلم
- أهمية تفعيل دور المرأة فى مجال العلم — د. الحاج أحمد سوباكر
- التربية الأخلاقية ، وكيف نرسخها فى المجتمع — أ.د. حامد طاهر

سلسلة أبحاث جامعية ، أنشئت عام ١٩٨٣ ميلادية
يشرف على إصدارها أ.د. حامد طاهر ، نائب رئيس جامعة القاهرة السابق
بالتعاون مع مركز اللغات الأجنبية والترجمة التخصصية بجامعة القاهرة

ت { ٣٣٣٥٢٣٧٧ / ٣٣٥٧٥٠٣١
المحمول : ٠١٢٢١٩٤٠١٧
Mail { hamedtaherh @ yahoo.com / hamedtaherh @ hotmail.com
Sit www. Hamedtaher. com

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

دراسات عربية وإسلامية ط١ - ج٥١
القاهرة - دار الهاني للطباعة - ٢٠١٥

عنوان الكتاب : دراسات عربية وإسلامية
رقم الإيداع : ١٧٥٩٩ لسنة - ٢٠١١
الترقيم الدولي : I.S.B.N.978-977-468-242-7

دار الهانى للطباعة والنشر
القاهرة : ٤٤٤٤٤٢٠٥٥
hanyhamdy@yahoo.com

مستشارو السلسلة

(ألفبائياً)

أ.د. أحمد الطيب	أ.د. عبد الراضى عبد المحسن
أ.د. حسن حنفى	أ.د. عبد المنعم تليمة
أ.د. حسنين ربيع	أ.د. محمود زقزوق
أ.د. حمدى السكوت	أ.د. محمد عبد الغنى شامة
أ.د. رجاء أحمد على	أ.د. محمد نبيل غنايم
أ.د. الطاهر مكى	أ.د. وفاء إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسعدنى غاية السعادة أن أقدم الجزء الحادى والخمسين من سلسلة "دراسات عربية وإسلامية" التى بلغت سنوات إصدارها حتى الآن اثنتين وثلاثين سنة، وضمن (٣٤٨) بحثا محكمًا لأساتذة من مختلف الجامعات المصرية والعربية، تدور حول اللغة العربية وآدابها، والعلوم الإسلامية وفروعها.

وقد كان الهدف الأساسى من إصدار هذه السلسلة أن تكون مستودعًا للنشاط العلمى الذى يشارك أساتذة الجامعات فى دفع الحركة الثقافية العربية إلى مزيد من التقدم والازدهار، وأن تكون كل بحث منها نموذجًا للمقال العلمى الذى يتناول موضوعًا محددًا، ويناقشه بموضوعية، ويحللة باقتدار ، ويبرز أصالته بالمقارنا ، حتى يصل فى النهاية إلى نتيجة محددة، تكون قابلة للصواب أو الخطأ . وهذا هو أفضل الطرق لترسيخ البحث العلمى فى بلادنا.

ولابد أن أعترف بأن الكثير من بحوث هذه السلسة قد حقق هذه المواصفات ، وقدم نتائج غاية فى الأهمية. ولولا أن التواصل بين الباحثين من ناحية ، والمجلات العلمية المتخصصة من ناحية أخرى – ضعيف جدا، لفتح كل بحث منها المجال واسعًا أمام الباحثين الآخرين لمحاكاته ، أو مناقضته ، أو الانطلاق منه إلى بحوث أخرى.

إن البحث العلمى فى مجال العلوم الإنسانية بعامة، وفى الدراسات العربية والإسلامية بصفة خاصة ما زال يحتاج إلى المزيد من الجهود المضنية لكى يلحق – ولو قليلا – بمثيله فى العلوم التجريبية . وهناك أساليب معينة تساعد على ذلك ، منها الإحصائيات الدقيقة ، والرسم البيانى الذى يختصر الكثير من العرض الإنشائى ، والاقتراب ما أمكن من واقع المجتمعات ، وقياس ماضيها البعيد على حاضرها الحالى – كما أرشدنا إلى ذلك ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة.

ويهمنى هنا أن أسوق مقطعًا من مقدمة حاجى خليفة لكتابه الضخم (كشف الظنون) وفيه يحدد التأليف فى سبعة أغراض "لا يؤلف عاقل إلا فيها" وهى :

١-شىء لم يسبق إليه فيخترعه.

٢-شىء ناقص يتممه .

٣-شىء مغلق يشرحه.

٤-شىء طويل يختصره.

٥-شىء متفرق يجمعه.

٦-شىء مختلط يرتبه.

٧-شىء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه.

والله ولى التوفيق ،،،

المشرف على السلسلة

أ.د. حامد طاهر

شوال ١٤٣٧هـ

أغسطس ٢٠١٥م

القاعدة المعرفية للعملية الإبداعية

التعرف الجمالى

(كيفية التعامل الجمالى مع الواقع مدخل إلى طبيعة الصلة الجمالية به)

أ.د.عبد المنعم تليمة (*)

إن الماهية الاجتماعية لعلاقات البشر بالطبيعة تنشئ – فى بعض الصياغات الفكرية – وهما يقصر (الواقع) على (المجتمع)، بينما الصحيح أن الواقع ينتظم الطبيعي والاجتماعي فى آن. كذلك فإن الماهية الجمالية للفن تنشئ – فى بعض الصياغات الفكرية – وهما يقصر (الجمال) على (الفن) ، بينما الصحيح أن الجمال يوجد فى الفن وفى غيره من الظواهر والأحياء والأشياء.

إن الواقع أعم من المجتمع ، وإن الجمال أعم من الفن . وليس شك فى أن تحديد هذه المفهومات الأربعة يحدد – فى ذات الوقت– علاقة بعضها ببعض.

الأساس هنا أن المفهوم الصحيح للواقع ولطبيعة الصلة الجمالية به ، مدخل ضرورى إلى المفهوم الصحيح للمجتمع والى طبيعة صلة الفن به.

(*) أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب – جامعة القاهرة .

(١)

يضم الواقع ما هو مادى موضوعي وما هو إنسانى ، أى أنه يضم علاقة البشر بالطبيعة وعلاقة البشر بعضهم ببعض.

وهو – الواقع – ليس ثابتاً وإنما هو فى تطور دائب ، والذى يحكم تطوره هو مدى ما وصل اليه البشر فى صلتهم العملية بعالمهم الطبيعي، ومدى ما وصلت اليه علاقاتهم فى نظامهم الاجتماعي. ولأن عمل البشر ضد الطبيعة – للسيطرة عليها وإخضاعها لأهدافهم – عمل اجتماعى، فإن أية صلة – عملية ، روحية، جمالية ، فكرية، علمية.. الخ – بينهم وبين عالمهم الطبيعي ذات طبيعة اجتماعية، اى أن كل صلة بالواقع – الذى ينتظم الطبيعي والاجتماعي فى آن – صلة اجتماعية[١]. عن الجمال موجود موضوعي فى الواقع، فى الطبيعة والمجتمع ، لكن صلة البشر الجمالية بواقعهم صلة اجتماعية، لأنها مؤسسة على مستوى تطورهم العملى والاجتماعي وعلى مثلهم الجمالى الأعلى. إن الخصائص الجمالية فى الطبيعة تتبدى وجوداً حقاً، أى وجوداً مستقلاً عن إدراك البشر لها ووعيهم بها. إن هذه الخصائص ليست صناعة بشرية كما أنها ليست رغبات بشرية ، إنما يعى البشر منها بقدر تطورهم التكنيكي والعملي والفكري والروحي والجمالي.

كذلك فإن الجمال فى المجتمع موضوعي ، غير أنه ليس مصنوعاً جاهزاً للبشر ، وإنما هو من صنعهم ومن خلقهم ، يتبدى

فى حياتهم الروحية والفنية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية ، وهو ثمرة لمستوى تطورهم الفكرى ولعلاقاتهم الاجتماعية والعلاقة بين الجمال فى الطبيعة[٢] والجمال فى المجتمع لا تقل موضوعية عن موضوعية كل منهما. وأساس هذه العلاقة أن الجمال فى الطبيعة كان قائماً قبل بروز الإنسان العاقل ونضج حساسيته الجمالية ، لكن هذا البروز كان – فى آن واحد انتقاله هامة فى تطور الجمال فى الطبيعة وبداية لنشأة الجمال فى المجتمع. بدأ البشر يتعرفون على الجمال فى الطبيعة، وبدأوا – فى ذات الوقت – يخلقون – مادياص وروحياً – جمالاً على نهج قوانينها وعلى حسب تطورهم الفكرى والاجتماعي. هنا أصبح التعرف الجمالى يتصل بعناصر جمالية مادية وروحية، كذلك فإنه – التعرف الجمالى – لم يكن عملية بيولوجية وإنما كان عملية اجتماعية تنهض على وعي البشر وحواسهم المدركة والذائقة. لقد اصبح (الواقع) ثرياً بعناصره الجمالية، وأصبح يبدى من هذه العناصر بقدر تقدم البشر فى علاقاتهم بالطبيعة وفى علاقتهم الاجتماعية.

(٢)

توجد العناصر والخصائص والصفات الجمالية وجوداً موضوعياً فى ظواهر الطبيعة وأشيائها وأحيائها وفى ظواهر المجتمع وعلاقاته وأنماط سلوكه ومثله العليا.

إن هذا الوجود لا يتوقف على الوعي به ، إذ هو وجود مستقل عن إرادة البشر وإدراكهم ومعرفتهم . ولقد كانت منابع النيل جميلة – جليلة؟ – قبل أن يكتشفها بشر، ولقد كانت صور القهر الاجتماعي قبيحة قبل أن يكتشف المنهج العلمي قوانينها. إن الظواهر والأشياء والأحياء والعلاقات – فى الطبيعة والمجتمع – تتضمن عناصر وخصائص وصفات جمالية بغض النظر عن إدراك البشر لها ، وبغض النظر عن تقويم الذوات المدركة إن وقعت تلك العناصر والخصائص والصفات فى حيز الوعي والإدراك . وهنا لابد من دفع الخلط – وسنحاول دفعة فى وحدة تالية من هذا البحث نتناول فيها : التعرف والإدراك والتقويم – بين وجود العناصر والخصائص والصفات الجمالية وجوداً موضوعياً ، وبين التقويم الإنساني [٣] لها . فليس جلال النيل – جماله؟ – متوقفاً على تقويم من يسبح فيه أو من يروى أرضه من روافده أو من يشرب من عذب مائة ، وليس قبح الحرب بمتوقف على تقويم من يخوضها منتصراً أو مهزوماً معتدياً أو معتدى عليه.

إن البشر – فى كل طور تاريخي اجتماعي – يقع وعيهم على عناصر وخصائص وصفات جمالية فى الواقع الطبيعي والاجتماعي . ويرتبط هذا الوعي الجمالى بالتقويم الجمالى الذى يتغير من طور إلى طور.

ويؤكد الوعي والتقويم الجماليان – على الرغم من التطور والنسبية والذاتية فيهما – موضوعية (الجمالى) فى الواقع. ذلك لأن الوعي – مصحوباً بالتقويم فى عملية معرفية واحدة – إنما لا يكون بغير (موضوع جمالى) كما أن هذا الوعي مرهون – فى صحة محتواه المعرفى – بما يتضمنه من حقيقة ذلك الموضوع الجمالى. إن الوعي لا ينهض بمجرد الفكر والتصور ، وإنما ينهض باكتشاف خصائص (موضوع) المعرفة. ويتأسس على ذلك أن مقولات (الجميل، السامي، الجليل ، الحسن ، الوضيع ، القبيح .. الخ) ، أنما تشير إلى خصائص وصفات موضوعية.

(٣)

إن المسعي الأول للبشر هو أن يعرفوا واقعهم – الطبيعي الاجتماعى – (عالمهم) ، وإن غاية هذا المسعى هو أن يغير البشر هذا الواقع . إننا نفسر العالم لنغيره . وتتوقف قدره البشر على تغيير واقعهم على قدر ما عرفوا عن هذا الواقع وتتوقف معرفتهم لهذا الواقع على المدى الذى وصلت اليه علاقتهم بالطبيعة – سيطرة وإخضاعاً وتوجيهاً – والمدى الذى وصولا إليه فى تنظيم حياتهم الاجتماعية : إن التغيير مؤسس على المعرفة ، والمعرفة ثمرة لمستوى تطور العلاقة.

ويعننا هنا المعرفة الجمالية . وفى هذا السبيل فإن عملية التعرف الجمالى عملية أساسية فى الحياة البشرية هي إحدى

العمليات المعرفية الأساسية. وموضوع هذه العملية – كما سبق – قائم فى الطبيعة التي أخضعها البشر ، وفى الطبيعة التي لم يخضعوها كما أنه قائم فى حياة البشر وعلاقاتهم الاجتماعية وفى حياة الأفراد النفسية والروحية. ومهما يكن التعرف الجمالى حصولاً أو صولاً – الحصول مرحلة التعرف الجمالى الأولية ، والوصول مرحلة الوعى الجمالى بالحقيقة الجمالية ، وهي حقيقة (نوعية) و(نسبية٩ – فإنه مشروط بمستوى تطور الجماعة عملياً واجتماعياً وبمثلها الجمالى الأعلى . وهنا – فى طبيعة التعرف والتقويم الجماليين – تنهض مشكلات علمية وفكرية هامة:

تنهض المشكلة الأولى من هذا الأساس : إن العناصر والخصائص والصفات الجمالية ليست ثمرة للوعي – التعرف. الإدراك – وإنما هي وجود موضوعي يصل الوعي فى كل طور تاريخى اجتماعي إلى امتلاك بعضها . يمهد – عادة – لتناول هذه المشكلة بأصول حول كيف يعي البشر واقعهم ، وحول طبيعة ذات مدركة وموضوع مدرك ، بين المدرك ، بين المعرفة والوجود[٤]. ولكن من زاوية المعرفة الجمالية يتحدد المشكل بالصورة التالية: ما علاقة التعرف الجمالى وهو سبيل المعرفة الجمالية بالتعرف والإدراك العاديين وهما سبيل المعرفة البشرية عامة؟

وتنهض المشكلة الثانية من هذا الأساس : إن التعرف عام هو أصل المعرفة عامة ، وسبيله الإدراك الذى يتبعه تفسير. هنا

يكون الحصول على الوعي بالشئ أى يكون (الحكم) حكماً من أحكام الوجود، حكماً بوجود المدرك . هذا عن للتعرف – الإدراك – عامة. أما عن التعرف الجمالى فهو أصل المعرفة الجمالية وسبيله الإحساس الذى يتبعه تقدير (تقويم) هنا يكون الحصول على الوعي بالجمال فى الشئ ، أى يكون (الحكم) حكماً من أحكام القيمة ، حكماً بقيمة المدرك جمالياً. إذا كان ذلك كذلك فإن المشكل يتحدد بالصورة التالية: إذا كان كل تعرف – جمالياً وغير جمالى– يقوم على كل الحواس – حاسة تتآزر معها الخبرات السابقة لبقية الحواس ، وقد تشاركها فى لحظة التعرف حاسة أو أكثر – فليس ثمة للتعرف الجمالى حاسة محددة يتم بها ، أى ليس لهذا التعرف حاسة أو أكثر – فليس ثمة للتعرف الجمالى حاسة محددة يتم بها ، أى ليس لهذا التعرف الخاص أداة معرفية خاصة . وعلى هذا فما الذى يميز هذا التعرف الجمالى عن أى تعرف؟ وإذا كان أساس التعرف الجمالى هو التقويم الجمالى ، وكان التقويم عامة – جمالياً وغير جمالى – إنما يرتد إلى مصدر واحد هو الإحساس ، فما الذى يميز هذا التقويم الجمالى عن أى تقويم؟ اى ان المشكل بعبارة أخرى هو : ما خصيصة التعرف الجمالى بين كل تعرف؟ وما خصوصية التقويم الجمالى بين كل تقويم؟

وتنهض المشكلة الثالثة من هذا الأساس: كل تعرف قائم على الإدراك وكل تعرف تقويمى قائم على الإدراك (يتبعه تفسير)

والإحساس (يتبعه تقدير: تقويم) وكل تعرف جمالى قائم على الإدراك والإحساس والتقويم الجمالى. إذا كان ذلك كذلك ، فإن المشكل يتحدد بالصورة التالية: إذا كان البشر يدركون الأشياء والظواهر والأحياء إدراكات ليست متطابقة ، ويحسونها إحساسات متباينة ، فإنهم سينتهون – طبعاً – إلى تقويمات جمالية مختلفة . تثور – إزاء هذه التقويمات الجمالية ا لمختلفة – ثلاثة أمور : ما قدر الذاتية (التفاوت فى التقويم بين فرد وفرد ، وبين جماعة وجماعة) هنا ؟ . وما قدر الموضوعية (صلة التقويم بصفات المقوم : الموجود الموضوعى المدرك المحسوس به) ؟ وما قدر التاريخية (التفاوت فى التقويم بين مرحلة تاريخية اجتماعية وأخرى)؟ بل ما صلة هذه الأمور الثلاثة – الذاتية الموضوعية . التاريخية – بعضها ببعض فى التقويم الجمالى؟ بعبارة موجوز : ما معيرا هذا التقويم الجمالي؟

هناك منحى أول فى البحث يتوجه فيه الباحث إلى درس حركة العقل فى عملية تعرفه وإدراكه للصفات الموضوعية لظاهرة أو لشئ أو لكائن.

وهناك منحى ثان فى البحث يتوجه فيه الباحث إلى درس ثمرة تلك الحركة العقلية ، وهي ثمرة تبين فى الحصول والوصول اللذين أشرنا إليها ، أى فى تحقق صورة المدرك فى ذهن المدرك. وقد كان كل من المنحيين خاضعاً للتأمل الفلسفي الذاتي قبل التقديم العلمي والتكنيكي الأخير الذى تأسس عليه أن اصطنع الباحثون فى

المنحيين أدوات العلم ومناهج العلماء. ومن جهة البحث الجمالى فإن العمل فى المنحيين جميعاً قد أصبح من مهمة علماء النفس الذين يدرسون إحصائياً وتجريبياً عمليات الإدراك والإحساس الجماليين وعمليات الإبداع الفنى عند الفنانين . أما علماء الجمال ونقاد الفن فإن مجال بحثهم ليس هو ثمرة التحقق فى الذهن وإنما هو ثمرة التحقق بالتشكيل، أى أن مجال بحثهم هو العمل الفنى نفسه لا العمليات التي جرت قبل تشكيله.

وقد أخذ علماء الجمال ونقاد الفن – شأنهم أصحاب كل نشاط معرفى وبحثي يتجه إلى أن يكون علماً – يصطنعون أدوات العلم ومناهج العلماء.

ومهما يكن من أمر تمايز التخصصات واستقلال العلوم ، فإنه ثمة أصولاً فكرية هي سند للأدوات العلمية ، هذه الأصول هي التي صاغها الفكر العلمي أساساً علمياً نظرياً للمعرفة . وهنا – فى هذا الأساس العلمي النظرية للمعرفة – ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:

هي أن وقع العالم على حواسنا – وهو مصدر معرفتنا – ينتج لنا أفكاراً وصوراً . وليست هذه الأفكار والصور موجودات موضوعية خارج ذواتنا ، لأن الموجود خارج ذواتنا موضوعياً هو مفردات العالم – الواقع – وظواهره وأشياؤه وأحياؤه ، إنما تلك الأفكار والصور هي (صورة) هذا الواقع . إن ما حصله وعينا وما

وصل اليه من معرفة بالواقع ، هو صورة هذا الواقع ، وهي صورة لا تطابق الموجودات الموضوعية ، لكنها – هذه الصورة – ليست بعيدة عن الموضوعية . كيف؟

هنا تجئ المسألة الثانية:

وهي أن صحة المعرفة لا تنهض (بمجرد) الأفكار والصور ، وإنما تنهض صحتها بقدر احتوائها على عناصر جوهرية من حقيقة الموجود المدرك موضوع هذه المعرفة. معني هذا أن المدرك موجود موضوعي خارج ذواتنا مستقل عن وعينا به ، لكن وعينا به – بالإدراك وما يتبعه من تفسير وبالإحساس وما يتبعه من تقدير : تقويم – وإن لم يطابقه ، فإنه ليس بعيداً عن (موضوعيته) ، ، ذلك أن الوعي هو امتلاك عناصر جوهرية من حقيقة الموجود المدرك. معنى هذا – من زاوية ثانية – أن المدرك موضوعي ، وأن وعينا به تتحقق موضوعيته بقدر احتوائه على عناصر جوهرية من حقيقة المدرك هناك عوامل تحد هذا القدر وتحدده . ما هي؟

هنا تجئ المسألة الثالثة:

وهي أن هذه العوامل يمكن درسها ومعرفتها علمياً لأنها هي بذاته الدرس العلمي لمستوى تطور الجماعة فى تعاملها مع عالمها الطبيعي ولمستوى تطورها فى تنظيم حياتها الاجتماعية.

معني هذا أن معرفة الجماعة وعاء حافظ لخبرتها التاريخية. ومعني هذا – من زاوية ثانية – ان للتعرف – الإدراك – تاريخاً اجتماعياً محدوداً بخبرة الجماعة، وأن للتقويم – مهما يكن من أمر مقوماته الذاتية والانفعالية والفردية – تاريخاً اجتماعياً مواكباً – ومطابقاً فى الكثرة من جزئياته – لتاريخ التعرف ، وأنه – التقويم – محدود بخبرة [٥] الجماعة.

هنا نكون قد اقتربنا من الارتباط بين التعرف والتقويم ، ومهدنا للاقتراب من التعرف والتقويم الجماليين . ولابد – إذاً – من وقفتين ، واحدة للتعرف وثانية للتقويم.

(٤)

يفضى التعرف إلى معرفة بالواقع ، لكنه لا يفضى إلى قيام (صلة) خاصة نوعية بهذا الواقع . وميزنا – فى الفقرة السابقة – بين سبيل علماء النفس فى درس التحقق الذهني وسبيل علماء الجمال والنقاد النظريين فى درس التحقق التشكيلي . وهنا نميز بين سبيل أولئك فى درس الحركة الذهنية والنفسية لحظة التحصيل والوصول المعرفيين ، وسبيل هؤلاء فى درس نتائج هذه الحركة. أى أننا هنا نميز بين عملية التعرف ونتاج هذه العملية.

وبادئ ذى بدء فإننا نقف فى التعرف أولاً عند بيان حدة قبل تبيين حدوده: هو توجه وتنبه وقصد ويقظة حواس ووعي من المدرك بأن المدرك قائم خارجه متميز ومستقل عنه . وهو ثمرة

التآزر بين القوى المدركة والحواس المتلقية ، وبين التلقائي والإدارى ، وبين الانفعالى والعقلى ، وبين الخبرات الراهنة والخبرات الماضية . وهو ثمرة التآزر بين صفات المدرك وخصائصه وعناصره من ناحية ، وصفات غيره وخصائصه وعناصره من ناحية ثانية ، ثمرة التآزر بين جزئيات الأبنية والأنساق والصيغ . أى هو سبيل البشر إلى عمليتي التجريد والتعميم ، خلق الصور والمفاهيم ، المعرفة . ونلتمس كل ذلك فى (حدوده):

- التآزر هو الأساس الأول للتعرف ومن هذا التآزر – كما سبق القول – ما يقوم بين الحواس المتلقية للخبرة الراهنة والقوى المدركة التي تستحضر ما استقر فى الحافظة والذاكرة من نتائج التثبيت والذكرى والتحديد إن هذه القوى المدركة تكمل الخبرة الراهنة – التي تتلقاها الحواس – بالإحياء والاسترجاع للخبرات والحالات الشعورية والوجدانية والفكرية ، وتنهض بالتأويل والاصطفاء والتنسيق والضبط ، كما تنهض بالذكر وهو تلقائي ، وبالتذكر وهو إرادى . أما الحواس المتلقية فإن العلاقة بينها (تكاملية) : فليس إبصار شئ معناه أن تتعطل الحواس الأخرى ، كما أن هذه الحواس تعين الحاسة المتلقية لمدرك ما بخبراتها مع هذا المدرك ، فقد يبصر المء شيئاً وتستدعي حواسه فى ذات الوقت رائحة هذا الشئ أو ملمسه أو مذاقه .

- ومهما يكن من أمر كل هذه القوى المتلقية والمستدعية فإنها تستجيب – كما سنرى فى الفصل الثاني من هذا البحث – لحاجات عملية ، كما أنها محكومة فى تطورها وطاقاتها بمستوى التطور التاريخي الاجتماعي : " مع هذا التطور الذى لحق بالحاسة الروحية المتذوقة وبالشعور الجمالى لدى الإنسان ، كانت حواسه الخارجية – البصر والسمع والشم والذوق واللمس – قد تهذبت خلال النشاط العملي . فقد صقل العمل حواس الإنسان ، وانتقل بها – عبر ملايين السنين – من ضيق الحاجة العملية الخشنة إلى ثراء الحالات الشعورية والإحساسات الإنسانية. فإذا كان النشاط العملى للبشر مصدراً لثقافتهم وخبرتهم ، فإنه فى ذات الوقت أساس لتطور حواسهم من صورتها الغريزية البدائية إلى صورتها الإنسانية الراقية : فلقد أصبحت حواس الإنسان الأول حواساً (إنسانية) عندما اكتسبت ، باعتبارها وسائل للإنسان فى صلته العملية بعالمه الطبيعي والاجتماعي ، رهافة ومقدرة بتقدم تلك الصلة وتطورها . فالعين قد اكتسبت وظيفتها الإنسانية لما استوعبت عملها النفعى المباشر من نظر ورؤية وإبصار ، وتجاوزته إلى الملاحظة المتعمدة والمراقبة المدققة والرنو المتأمل ، أى صارت العين عيناً إنسانية لما أصبحت وظيفتها – مع الجانب النفعى العملى – مصدر إمتاع وإشباع شعورى . وصارت الأذن أذناً إنسانية لما صقلت قدرتها على نقل الموجات

الصوتية وعلى تعيين أنواعها ودلالاتها . كذلك تهذبت حواس الشم والذوق واللمس ، ونمت طاقتها على توصيل آثار المنبهات الخارجية إلى المخ فأمدت الإنسان بكثير من الخبرات عن عالمه(٦).

- وكما يتم التآزر فى التعرف بين الحواس المتلقية والقوى المدركة المستدعية كذلك ، فإن التآزر يتم بين صفات المدرك وعناصره وخصائصه التي تقع – أثناء التعرف – فى متناول التلقى والاستدعاء . اى ان المعروف يتبدى (كلا) بما أبدى من صفاته وعناصره وخصائصه ، كما تبدى العارف (كلا) بما أعمل من حواسه المتلقية وقواه المدركة المستدعية. إن المتعرف لا يصطنع أداة معرفية مخصوص ليتعرف على عنصر مخصوص من عناصر المدرك . كذلك فإن المدرك لا يبدي عنصراً واحداً منعزلاً عن صلاته وتفاعلاته بغيره من العناصر ، كما أن المدرك بكل عناصره – التي وقعت فى متناول الحواس المتلقية والقوى المستدعية – إنما يتبدى متصلاً ومتفاعلاً بغيره من المدركات . وهذا يفسر قدرة البشر على إدراك الأنساق والصيغ والأبنية ، مستعينين بوجوه التقارب والتشابه، وبوجوه المخالفة والمشاركة.. الخ.

- والتعرف سبيل التجريد إذ هو يخلص المدركات من صفاتها غير الأساسية ، وهو سبيل التعميم إذ هو يعين على بيان الخصوصية

والنوعية . والتجريد والتعميم هما الأصل فى المعرفة البشرية : "... ووصول الذهن البشرى إلى تكوين المفاهيم المجردة وإنشاء الرموز هو أولى القرائن المشيرة إلى تقديم هذا الذهن والى نمو طاقتي التجريد والتعميم فيه: فالتجريد هو القدرة على تخليص الصفة المشتركة بين مجموعة من الجزئيات والأشياء والوصول إلى الكليات من خلال تحليل الجزئيات ومعرفتها أو هو انتزاع الكلى من الجزئي بتخليص المعني من المادة ، بحيث يمكن استحضار الشئ من غير أن يرتبط هذا الاستحضار بشروط الوجود المادى وبشروط الزمان والمكان والتعميم هو إطلاق هذه الصفات المستخلصة – أو المعاني المجردة – على كل الجزئيات والأشياء التي تشترك فى تلك الصفة ، مع اتساع هذه الصفة لما يستجد من جزئيات وأشياء داخل نفس المجموعة[٧]، إن التعرف – على هذا – حالة (عقلية) ، فهو يختلف عن العاطفة التي هي حالة (وجدانية) ، وعن الإحساس الذى هو حالة (انفعالية) . إن التعرف أصل المعرفة والتعرف بذاته لا ينتهي إلى الصلات الخاصة بين البشر وواقعهم – الصلة الروحية ، العقلية ، النفعية، الجمالية .. الخ – لكنه، لأنه سبيل كل معرفة ، سند أولى لكل صلة خاصة نوعية. إن التعرف ينتهي بمعرفة لا بصلة.

(٥)

لا يقيم التعرف بذاته – وإن يكن أصل المعرفة – صلة خاصة نوعية بين المتعرف وعالمه . ما الذى يقيم هذه الصلات الخاصة النوعية – النفعية ، الروحية الجمالية ، .. الخ – بين البشر وعالمهم ، واقعهم الطبيعي والاجتماعي؟؟ أساس كل هذه الصلات التقويم (التقدير) وهو مرتبط – يتبع – الإحساس ، لا التفسير الذى يرتبط – يتبع – التعرف. ولقد سبق القول إن الذى يجعل تعرفاً ما (جمالياً) إنما هو التقويم الجالى ، فكأننا قلنا هناك – ونقول هنا – إن التعرف الجمالى هو الإحساس الجمالى.

فى عملية التعرف يكون التوجه – الإدراى – إلى الحصول على صفات المدرك الموضوعية وعناصره ، وتكون الصفات والعناصر بارزة فى اتصال بعضها بالبعض الآخر ، وفى تفاعل بعضها مع البضع الآخر. أما فى عملية الإحساس فإن الفعل – غير الإدارى – إنما يكون لأثر صفات المدرك الموضوعية وعناصره على حواس المدرك المتلقية وقواه المستدعية ، وتكون هذه الصفات والعناصر (محسوسة) بقدر اتصالها بتلك الحواس والقوى وبقدر تفاعلها معها.

وفى عملية التعرف يكون التوجه الإدارى إلى الحصول على معرفة بجميع الصفات والعناصر والخصائص التي اتصلت بها الحواس المتلقية والقوى المدركة . وهنا يخلص المتعرف هذه

الصفات والعناصر والخصائص امن نتائجها (الانفعالية) مع حواسه، لأن الشأن إنما هو للوصول إلى (موضوعية) هذه الصفات والعناصر والخصائص. أى الوصول إلى (نوعية) المدرك وتمايزه عن غيره من المدركات.

النتيجة هنا هي التعميم . أمام فى عملية الإحساس فإن التفاعل غير الإدارى إنما يصل إلى صفة فردية أو عنصر فرد من صفات المحسوس وعناصره. إن الاتصال هنا – بين (المتلقى) والمحسوس – يتم فى (ظروف) محددة خاصة.

إنه لا يكون بين جميع (صفات) المحسوس وجميع (حالات) صاحب الحواس ، وإنما يكون بين صفة فردة من صفات المحسوس وحالة خاصة – جسمية ونفسية و (حسية) – للمتلقى . النتيجة هنا هي التخصص.

هنا يمكن القول إنه يسهل صياغة نتيجة التعرف (التعميم) ، وتصعب صياغة نتيجة الإحساس (التخصيص)[٨]، بل إنه يمكن لمتلق ان يتصل اتصالا (مثمراً) بمحسوس ويصعب عليه فى ذات الوقت ان يتعرف على هذا المحسوس.

ينتهي كل إحساس بتقويم يحدده . ويكون الإحساس جمالياً إذا انتهي بتقويم جمالي:

هذا البناء على الطراز الفرعوني.

وهو بناء مريح : تقويم نفعي.

وهو بناء رائع : تقويم جمالى.

ليس هذا التقويم ثمرة لصفة موضوعية من صفات المحسوس به ، ولكنه يشير – إن كان الإحساس سوياً – إلى صفة موضوعية فى ذات الوقت . إنه يدل على صفة موضوعية وإن لم يطابقها.

إنه متميز وخاص . إنه ثمرة لخبرة فريدة لا تطابق غيرها من خبرات المتلقى ، ولا تطابق خبرة من خبرات غيره من البشر . إنه لا يتصل بالنوعية : التعميم . ولكنه يتصل بالعينية : التخصص.

كل صلة هي تعامل نوعي خاص مع الواقع.

والصلة الجمالية هي تعامل جمالى مع الواقع.

فإذا كانت الحواس المتلقية والقوى المتعرفة المستدعية – أدوات الإحساس – مرتبطة فى نموها ودرجة تطورها وتلقيها واستدعائها بمستوى التطور العملي والتنظيم الاجتماعي للجماعة ، فإن هذه الصلة ذات طابع اجتماعي.

وإذا كانت الظواهر والأحياء والأشياء – فى الطبيعة والمجتمع – تضم من الصفات والعناصر والخصائص أكثر مما وقع فى متناول الإحساس ، وإذا كان ما وقع فى متناوله إنما هو مرتبط

بذلك المستوى من التطور العملي والتنظيم الاجتماعي للجماعة ، فإن هذه الصلة ذات طابع اجتماعي.

إن عنصراً من عناصر الجمال فى شئ ما لا يبرز فى الإحساس الجمالى ولا يصاغ فى التقويم الجمالى بحقيقته الموضوعية فحسب، وإنما يبرز استجابة لحاجة روحية جمالية وحسب طاقته على الوفاء بهذه الحاجة . فإذا كانت الحاجات الروحية والجمالية للأفراد لا تتجاوز ذلك المستوى من التطور ، فإن الصلة الجمالية ذات طابع اجتماعي.

أن الصلة الجمالية بالواقع – بخصوصيتها وعناصرها الذاتية والفردية – صلة اجتماعية.

**

مراجع وهوامش

١- راجع الفصل الرابع والثلاثين (ص ٧١١) من المجلد الثاني ، من مجموعة :

Great books of the Western World. London, ١٩٥٢.

(وسنشير إلى هذه المجموعة بعد ذلك بالحرفين : G.B.)

وراجع كذلك (ص ٩٠) من كتاب:

The hidden God, by Lucien Goldmann, Translated from the French by Philip Thody, London, ١٩٧٦.

٢- راجع – من وجهة نظر مثالية – فى هذه العلاقة:

Hegel, the Philosophy of history, First Part, P. ٢١٩, (G.B.)

٣- راجع – من وجهة نظر مثالية – ما يلي:

- كتاب هيجل السابق ، القسم الثاني ، ص ٢٦٧.

وراجع فى نفس الأمر – من وجهة نظر مختلفة – ما يلي:

- وعبد المنعم تليمة : مقدمة فى نظرية الأدب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٧ ، الفصل الأول من الباب الثاني.

٤- راجع الفصلين السابع ، والثامن عشر من المجلد الأول ، فى مجموعة : (G.B.)

وراجع كذلك مقدمة كتاب جولدمان المذكور فى الهامش الأول.

٥- راجع – فى طبيعة كل من التعرف والتقويم والتاريخ الاجتماعي المحدود بخبرة الجماعة لكل منهما – ما يلي:

(أ) الوحدات (٤ – ٦ – ١٨ –٤٣) فى مجموعة (G.B.)

(ب) جيروم ستولنيتز : النقد الفنى دراسة جمالية وفلسفية ، ترجمة فؤاد زكريا ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤ م ، صفحات:

(ج) ٤٤، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٨٦، ٨٧، ١١٠، ١١١.

Critical Theory Since Plato, edited by Hazard Adams New York, ١٩٧١, P. ١٠٥٥, P.١١٤١.

٦- عبد المنعم تليمة : مقدمة فى نظرية الأدب ، ص ١٥.١

٧- المرجع نفسه ، ص ٢٣.

٨- راجع الوحدات (٦، ١٨، ٢٢، ٢٤) من الجلد الأول فى مجموعة:

(G.B)

**

ETUDES ARABES ET ISLAMIQUES

هذه السلسلة

.نشأت عام ١٩٨٣

تضم أهم الدراسات والبحوث لأعضاء هيئة التدريس

بمختلف الجامعات المصرية والعربية:

فى اللغة العربية وآدابها،

والثقافة الإسلامية وفروعها.

الأبحاث المنشورة بها- ما عدا أبحاث

الأساتذة- تخضع للتحكيم العلمى.

تقدم فى كل جزء منها بحثاً لأحد علمائنا

الراحلين كنموذج متميز فى البحث العلمى

الرصين.

وضعت مؤخراً على شبكة الإنترنت فى

موقع المكتبة الرقمية العربية

www.askzad.com للإطلاع عليها من الباحثين

فى كل أنحاء العالم.

يجرى حالياً ترجمة بعض بحوثها إلى اللغة

الإنجليزية لتعميم الفائدة منها.

ينشر فى نهاية كل جزء منها قائمة بكل الأبحاث

التى صدرت فيها وأسماء الباحثين.

51

دراسات عربية وإسلامية

الجزء 51

2015 - 1436